



على الرغم من أن نص السؤال فيه شدة إلا أنه مفید من حيث إشعاره لنا بعبارة القوية بالأسامة الضخمة وبالتحدي الكبير الذي نعيشه في عصرنا الحاضر، ويحضرني هنا اسم الكتاب الشهير للعلامة أبي الحسن الندوی رحمه الله (ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين؟).

\* أما من أسقطه؟ \*

فيشكل عام أسقطه الفرد المسلم عندما غفل وأغفل عن حقيقة الإسلام وصدق التمسك به والتزام أوامره في كل الأمور وجعله الهدف الذي يعيش من أجله.

قال تعالى: **{إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرُكُمْ}** [سورة محمد: 7].

وقال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح عن ابن عمر: «إذا تباعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر، ورضيتم بالزرع، وتركتم الجهاد، سلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم» [رواه أبو داود وصححه الألباني].

وبعد تحقیق صدق التمسك بأوامر الدين والتطبيق الحقيقی الكامل للشرع والذي يبدأ حصوله كما يبدأ انحرافه من أفراد الأمة لا تنتصر أمة الإسلام حتى وإن اتحدت وتوحدت وتقدمت علمياً وعسكرياً لأن سنة الله الحکیم اقتضت ذلك.

\* نعم بعض الأفراد مسؤوليهم أكبر، فالحاكم الذي يؤثر على الملايين يتحمل مسؤولية بقدر وعدد هؤلاء المسؤول عنهم، والذين يضيّعهم إن قصر في مسؤوليته الفردية كحاكم واجبه أن يطبق فيهم شرع الله ويربيهم على حبه والتمسك بتعاليمه وأوامره والحرص عليها ومنع ما يخالفها.  
وهكذا تكبر المسؤولية أو تصغر بقدر حجم المسؤول.

\* وَمِنْ مَسْؤُلِيَّتِهِمْ كِبِيرَةً جَدًّا لِعَظَمِ قَدْرِهِمْ عُلَمَاءُ الْأُمَّةِ فَهُمْ مِنْ أَكْبَرِ الْمُؤْثِرِينَ فِيهَا إِذَا تَحْرَكُوا وَتَجْرِيَوْا وَقَامُوا بِدُورِهِمْ الْمَأْمُولُ حَقَ الْقِيَامِ؛ فَأَخْذُوا بِيَدِ الْأُمَّةِ وَشَعُوبِهَا بِكُلِّ فَعَالِيَّةٍ يَسْتَطِيُّعُونَ عَلَيْهَا إِلَى طَرِيقِ الْهُدَى وَالرِّشَادِ، وَضَحُوا فِي سَبِيلِ ذَلِكَ، وَوَاجَهُوا بِالْحَقِّ وَبِالْطَّرِيقِ السَّلِيمِ مِنْ ضَيْعِ الْأُمَّةِ وَيَضِيِّعُهَا مِنْ الْمُتَنَفِّدِينَ أَوِ الْمَسْؤُلِينَ أَوِ الْحَكَامَ، وَلَمْ يَجَمِلُوهُمْ وَيُسْكِنُوهُمْ عَنْ مُنْكَرِهِمْ وَيَمْدُحُوهُمْ بِطَرِيقَةٍ تَجْعَلُ الْأُمَّةَ تَنْخُذُ بَهُمْ وَتَسْمَرُهُمْ أَوْ ضَاعُهُمْ وَالْمُنْكَرُاتُ وَالْمُخَالَفَاتُ الشَّرِيعَةِ الَّتِي رَبَوْا إِلَيْهَا.

\*\* **وَإِذَا أَرَدْنَا تَفْصِيلًا وَأَمْثَلَةً أُخْرَى عَنْ أَسْبَابِ سُقُوطِ الْأُمَّةِ وَمِنْ أَسْقَطُهَا فَيُمْكِنُ أَنْ نَقُولُ:**

- أَسْقَطَ عَالْمَنَا الإِسْلَامِيِّ مَسْؤُلَ الْإِعْلَامِ (الَّذِي أَصْبَحَ أَقْوَى وَأَهْمَّ وَسَائِلِ التَّأْثِيرِ فِي الْأُمَّةِ وَالشَّعُوبِ) وَأَيِّ عَامِلٍ فِي أَيِّ وَسِيلَةٍ مِنْهُ عِنْدَمَا لَمْ يَتَقَّدِّمْ اللَّهُ فِي مَشَارِكِهِ وَتَمْرِيرِهِ وَمَسَاعِدِهِ فِي عَرْضِ وَإِنْتَاجِ أَيِّ شَيْءٍ يَخْالِفُ الشَّرِيعَةِ فِي أَيِّ جُزْئَيَّةٍ مِنْ جُزْئَيَّاتِهِ أَوْ يَضُرُّ الْأُمَّةَ وَيَلْهُبُهَا عَنْ وَاجِبَاتِهَا.
- أَسْقَطَهُ انْحِرَافَاتٍ خَطِيرَةٍ وَقَعَتْ فِيهَا الْأُمَّةُ فِي جَانِبِ الْعِقِيدَةِ وَالْفَكَرِ وَالْتَّصُورَاتِ وَأَصْوَلِ الْحُكْمِ وَالسِّيَاسَةِ.
- أَسْقَطَهُ الْمُسْؤُلُ الْمُسْلِمُ الَّذِي رَضِيَ بِتَرْكِ الْمُنْكَرَاتِ وَمَا يَخْالِفُ الشَّرِيعَةَ يَمْضِي وَيَعْمَلُ فِيمَا تَشْمَلُهُ مَسْؤُلِيَّتِهِ وَيَسْأَلُ اللَّهَ عَنْهُ، وَلَمْ يَقْفِ وَقْفَةً قَوِيَّةً لِإِصْلَاحِ مَا تَحْتَ يَدِهِ وَتَوْجِيهِهِ لِيَكُونَ كُلُّهُ مَصْدِرُ خَيْرٍ لِلْأُمَّةِ لَا مَصْدِرٌ إِلَّا ضَرَرٌ عَلَيْهَا.
- أَسْقَطَهُ الْفَرَدُ الْمُسْلِمُ عِنْدَمَا تَرَكَ التَّمْسِكَ بِأَمْرِ دِينِهِ وَأَصْرَرَ عَلَى أَخْطَاءِ وَمَعَاصِي فِي أَيِّ جَانِبٍ مِنْ جُوانِبِ الدِّينِ...الْأَخْلَاقِ، الْمُعَالَاتِ، وَالسُّلُوكِيَّاتِ الظَّاهِرِيَّةِ وَالْقَلْبِيَّةِ (الَّتِي كَثِيرًا مَا تَنْسِي)،... وَغَيْرُ ذَلِكَ.
- أَسْقَطَهُ الْفَرَدُ الْمُسْلِمُ عِنْدَمَا رَضِيَ بِأَنْ يَعْمَلَ أَوْ يَشَارِكَ فِي أَيِّ مَكَانٍ أَوْ أَيِّ عَمَلٍ أَوْ أَيِّ جُزْئَيَّةٍ يَكُونُ فِيهَا مَسَاعِدًا وَمَعِينًا وَمَشْجِعًا لِمَا لَا يَرْضِي اللَّهَ وَمَنْ ثُمَّ يُؤْخِرُ النَّصْرَ عَلَى أَمْتَنَا.
- أَسْقَطَهُ الْفَرَدُ الْمُسْلِمُ عِنْدَمَا اسْتَمْرَأَ الذَّلِّ وَالْهُوَانَ وَجَبَنَ عَنْ قَوْلِ الْحَقِّ وَمَقَارِعَةِ أَصْحَابِ الْهُوَى وَالْإِضَلَالِ وَالْإِفْسَادِ، بِلِ نَاقِفُهُمْ فَأَضَلُّهُمْ هُمْ أَنفُسُهُمْ وَأَضَلُّ الْأُمَّةَ بِهِمْ... خَاصَّةً إِنْ كَانَ مِنْ وَهْبِ اللَّهِ قَدْرَاتٍ فِي الْأَدَبِ أَوِ الْفَكَرِ أَوِ غَيْرِ ذَلِكَ.
- أَسْقَطَهُ التَّاجِرُ الْمُسْلِمُ الَّذِي أَصْبَحَ فِي الْعَدِيدِ مِنْ تَجَارَتِهِ وَمَعَالَاتِهِ لَا يَحْرُصُ الْحَرْصُ الْلَّازِمُ عَلَى الْابْتِعَادِ عَنِ التَّعَامِلِ أَوْ دَعْمِ أَيِّ أَمْرٍ فِيهِ مَخَالَفَةٌ وَلَوْ جُزْئَيَّةً لِأَوْامِرِ الدِّينِ أَوْ أَيِّ قِيمَةٍ مِنْ قِيمَةِ.
- أَسْقَطَهُ الْفَرَدُ الْمُسْلِمُ عِنْدَمَا قَصَرَ فِي وَسَائِلِ النَّهْضَةِ الْمَادِيَّةِ لِأَمْتَهِ، فَأَهْمَلَ دِرَاسَتَهُ وَعَمَلَهُ وَلَمْ يَجِدْ فِي الْعَمَلِ الْقَوِيِّ لِإِخْرَاجِ الْأُمَّةِ مِنَ التَّخَلُّفِ التَّقْنِيِّ وَالْعَلَمِيِّ الْكَبِيرِ الَّذِي تَعِيشُهُ.
- أَسْقَطَهُ الْفَرَدُ الْمُسْلِمُ عِنْدَمَا قَصَرَ فِي بَذْلِ الْجَهَدِ لِلْوَاجِبِ الْكَبِيرِ الْهَامِ - خَاصَّةً فِي عَصْرِنَا الْحَاضِرِ الَّذِي بَعَدَتْ فِيهِ الْأُمَّةُ - وَاجِبُ الدُّعَوَةِ إِلَى اللَّهِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ بِإِصْلَاحِ مَجَمِعَاتِنَا، خَاصَّةً وَهُوَ يَرِيُ الذَّبِحَ وَالذَّلِّ وَالْهُوَانَ الْكَبِيرِ الَّذِي تَعِيشُهُ الْأُمَّةُ وَالَّذِي لَا يَحْلُ جَدْرِيَ حَقِيقِيَّ لَهُ إِلَّا دُعَوَةُ الْأُمَّةِ لِتَعُودَ إِلَى التَّمْسِكِ الْكَامِلِ الْحَقِّ بِدِينِهَا لِتَعُودَ كُلُّ أَمْرٍ خَيْرِيَّ لَهَا، وَكَمَا ذَكَرَ الشَّيْخُ مُحَمَّدُ جَمِيلُ عَقَادُ رَحْمَهُ اللَّهُ فِي عَبَارَتِهِ الْذَّهَبِيَّةِ عَنِ الْقَدْسِ وَلَكِنَّهَا تَشْمَلُ كُلَّ أَمْرٍ عَزَّتْنَا: "لَنْ تَعُودَ حَتَّى تَعُودْ".
- أَسْقَطَهُ الْفَرَدُ الْمُسْلِمُ عِنْدَمَا قَصَرَ فِي تَعْلِمِ أَمْرِ دِينِهِ التَّعْلِمِ الْكَافِيِّ، مَعَ أَنَّهُ يَعْرِفُ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْ إِلَّا مِنْ أَجْلِ الدِّينِ وَالْعَبُودِيَّةِ الْجَلِيلِ وَتَحْقِيقِ خَلَافَةِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ.
- أَسْقَطَهُ الْفَرَدُ الْمُسْلِمُ (رَجُلًا كَانَ أَوْ إِمْرَأً) عِنْدَمَا انشَغَلَ وَتَعَلَّقَ كَبِيرًا بِالْدِينِ وَأَلْبَسَهُ وَمَسَاكِنَهُ وَبَهْرَجَهُ وَزَخْرَفَهَا

ومفاحرها والذي فاق في بعض مظاهره اهتمام الكافرين بزخرف دنياهم، حتى وهو يرى إخواناً له يموتون ويتصورون جوعاً أو ينهكون قتلاً وتشريداً يدمي القلوب ويبيكي الحجر.

- أسقطه الشاب المسلم والفتاة المسلمة عندما استسلموا لتضليل أعداء الدين لهم... فانقادوا لما يحثونهم عليه ويخدعونهم به بأنه مظهر الرقي وطريق الحرية، وكانوا بذلك مطية لأعداء الدين في تحقيق مخططاتهم وما ربهم في إلهاء الأمة وإفسادها ليضيعوها ويتمكنوا منها.

- أسقطه الأمة التي تلهو وترقص على الجراح وخاصة من يرقصونها على الرغم من أن الأمة تذبح ذبح النعاج وتغتصب نساؤها وبيتم أطفالها وتنتهك حرماتها ويستهزأ بقيمها وتذل وتهان.

- أسقطه الشاب المسلم والفتاة المسلمة والكاتب والمفكر والأديب عندما تأثروا واستسلموا لتضليل وتأثير أعداء الدين فانقادوا لما يحثونهم عليه ويخدعونهم به بأنه الحرية ومظهر الرقي فكان بعضهم بذلك مطية لأعداء الدين لتحقيق ما يريدونه بالأمة.

- أسقطه كل من ربوا الأمة على المعاصي وعلى التساهل في الاعتداء الشرع في الإعلام وغيره فقتلوها بذلك شر قتلة، إذ أن المجتمعات التي تُعَوَّذُ على عصيان الخالق العظيم في أمور محرمة حسب ما يقتضيه دينها وعقيدتها يسهل عليها مخالفة أي نظام وتصبح غير منضبطة وغير مكترثة وغير جادة في كثير من الأمور بما فيها الأمور المباشرة المؤدية إلى الرقي والتقدم والسلوك المطلوب في أمور دنياها... والأمم التي لا تضبطها مقتضيات ولوازم عقيدتها لا يضبطها ضابط.

- أسقطه التاجر المسلم المقتدر والموهوب المتمكن والذكي الحاذق عندما لم يوجها ما حباهم الله به بفعالية لنصرة الدين والأمة.

- أسقطه الأمة بشتى فئات أفرادها عندما تخلت عن البدء أو على الأقل التجهيز الحق (بكل ما تحمله كلمة تجهيز من خلفيات ومتطلبات تربوية و Mayer) للجهاد الذي هو أحد أسس هذا الدين الهامة واحد أسباب هوان الأمة الرئيسة عندما تتركه في وقت مناسبة الحاجة والظروف له,... وما أشدتها في وقتنا الحاضر.

- آخر نصره العديد من الدعاة إلى الله عندما لم يحقق العديد منهم (فضلاً عن أفراد الأمة الآخرين) صدق الإخلاص والتجدد وسلامة أعمال القلوب وتحقيق قوتها والارتقاء بها لتنضبط وتفلح وتم البركة في أمورهم وجهودهم، يصلوا بالأمة إلى شاطئ النصر الذي لا نصل إليه إلا عندما نخلص ونترجرد من أهواء الدنيا وما يشوب الإخلاص.

\*\*نعم لا شك أن لمكائد أعداء الدين دور، ولكن لم يكن مكرهم وكيدهم ليتحقق علينا لو لا أننا قصرنا في تمسكنا الحق وفي أداء واجباتنا وفي تقوانا لله التي هي أساس نصرنا وعزنا ورد كيد الأعداء عنا... قال تعالى: {وَإِنْ تَصْبِرُوْا وَتَتَّقُوْا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئاً} [سورة آل عمران: 120].

\*\*ولقد أصبحت الأمة تعيش في حلقة مفرغة في هذا السقوط ما بين مسؤولين وحكام لا يربون الأمة على التمسك الحق بالدين؛ وبين أفراد أثر عليهم ما يفعله هؤلاء المسؤولين والحكام فأصبحوا لا يصلحون ولا يؤثرون إيجاباً على الحاكم، وهكذا تستمر هذه الحلقة المفرغة التي لا بد أن تكسر ولكن بالحكمة والطريقة الصحيحة التي أساسها إصلاح الفرد حاكماً كان أو محكوماً فبصلاح أحدهما الصلاح الحق يصلح الآخر بإذن الله، أو يزاح إن كان من طمس الشيطان والهوى على بصيرته وأصبح من أتباع أعداء الدين فلم يتقبل الحق وما يصلح ويفلح حاله هو قبل حال أمنته.

\* ولا يعني ما ذكر قلة الخير في الأمة، بل أمتنا أمة الخير العظيم الكامن في أبنائها على كافة مستوياتهم، والذي ينتظر تحركه لتعظيم هذا الواقع المؤلم الذي الأهم فيه أنه لا يرضي الله رب العالمين.

قال تعالى: {وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَغَوِيٌّ عَزِيزٌ} [سورة الحج: 40].

وقال تعالى: {وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِيَنَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ} [سورة النور: 55].

وقال سبحانه ووعده الحق: {وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الرِّبْرَأْ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُها عِبَادِي الصَّالِحُونَ} (105) إِنَّ فِي هَذَا لِبَلَاغًا لِلْقَوْمِ عَابِدِيَنَ} [الأنبياء: 105-106].

عودة ودعوة

المصادر: